البابُ الخامسُ عشرَ

فيمن أبى مِنَ الولاةِ عن الرشوةِ ومَنْ امتنعَ منهم عنِ الهديةِ

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾[1].

وقال سلمانُ الفارسيُّ سألتُ رسولَ الله ﷺ عن أشراطِ الساعةِ، قال: «إذا رأيتَ الناسَ قد ضيَّعوا الدينَ، وأماتوا الصلاة، وأكثروا القذفَ، واستحلوا الكذب، وأخذوا الرِّشا، وتشيَّدوا البنيان، وعظَّموا أربابَ الأموالِ، واستعملوا السفهاءُ، واستحلوا الدماء، فصارَ الكذبُ عندهم طريقاً، والعلمُ ضعيفاً، والظلمُ فخراً، والمساجدُ طرقاً، وكثرتِ الشُرَطُ، وحُلِّيتِ المصاحف، وطُولتِ المناراتُ، وخربتِ القلوبُ من الدينِ، وشُربتِ الخمورُ، وكَثُرُ الطلاقُ وموت الفجأة، وفشا الفجور وقول البهتان، وحلفوا بغيرِ اللهِ وائتمنَ الخائنُ، وخانَ الأمين، ولبسوا جلودَ الضأنِ على قلوبِ الذئابِ، فعندها قيامُ الساعةِ».

وقالَ سفيانُ: مرِضَ مسروقٌ فقال: واللهِ ما عملتُ عملاً أخوفَ عندي منْ أنْ يدخلني اللهُ النارَ من عملي هذا، واللهِ ما ظلمتُ فيه مسلماً ولا معاهداً، ولا أصبتُ منه درهماً.

---

(1) البقرة: الآية (188).

وقيل لقاضٍ من قضاة بني إسرائيل: فيمَ أفنيتَ عمرَكَ؟ قال ما سبقني إلى الصلاةِ أحدٌ، ولا اختصم إلي رجلان إلا أجهدتُ لهما نفسي في الحقِّ، ولا أتاني أحدٌ برشوة إلا ردتُّها عليه، ثم لم أخبر بها عنه.

وقال مكحولُ الشاميُّ لسفيانَ بنِ عوفٍ الأزديِّ كلْ قليلاً تعملْ طويلاً، والزمِ العفافَ تلزمِ الورعَ، وإياك والرِّشا، يشد ظهرك عند الخصوم.

وقال أميرُ المؤمنين عليُّ بنُ أبي طالبٍ ﷺ: هدايا العمالِ غلولٌ.

وقال اللّه تباركَ وتعالى لداودَ النبيِّ عليه السلام: يا داودُ إذا قعد الخصمان بين يديك، فكانَ لك في أحدِهما هوىً فلا تتمنينَّ في نفسِك أن يكونَ الحقُّ له فيفلحُ على صاحبِه، فأمحوكَ من ديواني، ولا تكونَ خليفتي، ولا كرامةَ لك.

وقال الحسن: إذا دخلتِ الرِّشوةُ من البابِ خرجَ الحقُّ من الكُوَّةِ، قيل: إن سُدَّتِ الكُوَّةُ قال: يخرجُ من حيثُ يدخلُ ملكُ الموتِ.

وقال وهبُ بنُ منبهٍ: مكتوبٌ في الإنجيل: أنَّ الرِّشوةَ تُعمي عينَ الحكيمِ، قال: ووجد مكتوباً على بابِ دارِ بعضِ الملوك:

إذا تَوَلَّى وجَمَحْ
فاضربْ به البيضَ الوضح
فإنها تُحَدِّرُه
ولو كانَ في قوسٍ قزحْ
إنَّك لو تَضْرِبْ بِهِ
جَبْهَةَ لَيْثٍ لا نْبَطَحْ

إنـــك لـــو تـــضـرب بـــه

بـــــابَ حـــديـدٍ لا نفتـــحْ

الحكاية

حكى هشامٌ قالَ: حفرَ بعضُ عمالِ أبي بكرٍ بمصرَ حفيرةً، فأفضى بهم ذلـك الحفـرُ إلى غَضَبٍ عظيمٍ من نحاسٍ مطبق، فظنـوه مالاً، فبعثَ إليه العاملُ أمناءَ ينظرون ما فيه، فلما فتحوه أصابوا شاباً عليه صوفٌ، وكساءُ صـوفٍ، وخُفٌّ إلى نصفِ ساقـه، وإذا عندَ رأسِه كتـابٌ بالعبرية، فقرِىء لهـم، فإذا فيه: أنا فـلانُ بنُ فلانٍ صاحبُ رسـول الله موسى بنِ عمرانَ، صلـوات الله عليه وسلامـه، مَنْ أحبَّ الأخـذَ بالناموسِ الأكـبرِ فليخالفْ بنـي إسرائيل، فإنهـم قد تواكلوا الحكم وعملوا بالهـوى، وباعوا الوصايا، والمنهاج الذي أُخذ عليهم ميثاقهم.